١٩

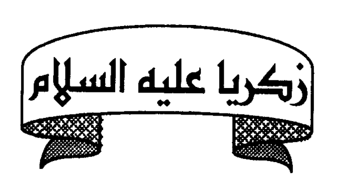
سلسلة
قصص الأنبياء
زكريا ويحيى عليهما السلام

تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8





وردت قصة زكريا عليه السلام في سورة آل عمران ، وسورة مريم ، وسورة الأنبياء ، وأحداث قصته تتمثل في دعوته لقومه ، وطلبه الولد ليكون خليفة على قومه من بعده، وبشارة الملائكة له بيحيى، وكفالته لمريم عليها السلام، وقتله على يد بني إسرائيل.

* نسب زكريا عليه السلام

هو زكريا بن برخيا بن مسلم بن صدوق ، يتصل نسبه بسليمان بن داود عليهما السلام ، أرسله الله إلى قومه من بني إسرائيل فدعاهم الى الله فلم يؤمن منهم إلا القليل ، وظل يؤدي رسالة ربه ويدعو قومه حتى كبرت سنه ، ووهن (ضعف) عظمه ، وييبس (جف) عوده ، واشتعل رأسه شيبًا (جلل بالبياض) وكانت امرأته عاقرًا (لا تلد) ، فخشى على قومه أن يضلوا من بعده فسأل الله تعالى أن يهبه غلامًا يرث الخلافة على بني إسرائيل ويرث علمه من بعده ، فاستجاب الله له وبشره بغلام اسمه « يحيى » لم يجعل له من قبل مثيلاً في عفته ونبله

وتقواه وورعه وهنا يتعجب زكريا من هذه البشرى ، ويصاب بالدهشة ، وتملأ الفرحة قلبه ، ويسأل الله علامة يعرف بها حمل امرأته ، فأخبره ربه أن علامة ذلك أن يجد نفسه غير قادر على الكلام ثلاثة أيام بلياليهن من غير عيب بلسانه .

فلما خرج على قومه وأراد أن يأمرهم بالصلاة كعادته لم يجد في لسانه قدرة على مخاطبتهم ، لكنه إذا أراد أن يذكر الله بلسانه وجد نفسه قادرًا على ذلك ، فأشار إلى قومه بيده أن سبحوا ، أي صلوا بكرة وعشيا ، فعلم قومه أن امرأته قد حملت بيحيى ، فشاركوه فرحته ، وجدُّوا في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وهكذا كان فرح المؤمنين بزكريا ببشرى ميلاد يحيى بن زكريا عليهما السلام .

قال تعالى في سورة آل عمران بعد أن ذكر كفالة زكريا لمريم ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٤١)** ﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٤١] .

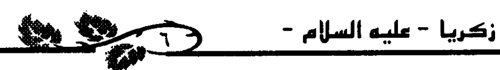
وفي سورة مريم يقول تعالى : ﴿ **كهيعص (١) ذِكْرُ**

رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ١-٦].

يشكو زكريا إلى الله تعالى ضعف جسمه ووهن عظمه ودنو أجله ، وخشيته على مواليه - وهم أتباعه وأنصاره - أن يضلوا من بعده ، فدعا الله أن يرزقه وليًا يلي الأمر من بعده ويحمل علمه وعلم آل يعقوب وهم أجداده .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] . أي مصدقًا بعيسى عليه السلام وهو كلمة الله . وسيدًا يسود قومه بكماله وخلقه النبيل ، وحصورًا لا يميل إلى النساء بطبعه .

وقد أثنى الله تعالى على زكريا عليه السلام في سورة الأنبياء فقال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء : ٨٩ - ٩٠]. لا تذرني فردًا : أي لا تتركني وحيدًا ،وأنت خير الوارثين. أي لا أعتمد إلا عليك يا



ربي فأنت الذي تتولى شئون عبادك بقدرتك ووفق إرادتك . والمسارعة في الخيرات تكون سببًا للمسارعة في إجابة الدعاء. وزوج زكريا هي « اليصابات » من نسل هارون عليه السلام .

* وفاته عليه السلام :

قتل عليه السلام شهيدًا وقد أجمع المؤرخون ورواة السير على ذلك وحكوا في ذلك روايات منها أنه دخل شجرة فانطبقت عليه ودل إبليس طالبيه عليه بعد قتل يحيى ابنه عليه السلام فنشروا الشجرة ، والله أعلم بكيفية قتله .

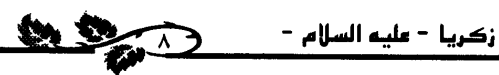
يقول تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[البقرة: ٦١].

* التفسير :

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدًا على الكبر وكانت امرأته مع ذلك عاقرًا في حال شبيبتها وقد أسنت أيضًا

حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله قال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضرًا عنده مخافة أن يسمعه فقال : يا رب يا رب يا رب . فقال الله : لبيك لبيك لبيك . قال : رب ، إني وهن العظم مني أي ضعف وخار من الكبر ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ أي غلب الشيب على سواد الشعر . أي أن الضعف قد استولى عليه ظاهرًا وباطنًا .

وقوله : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي ما عودتني فيما أسألك إلا الإجابة وكون الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ماتان ، وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهة في غير أوانها وهذه كرامات الأولياء ، فعلم أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزق ولدًا وإن كان قد طعن في سنه ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ أي العصبة ، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برًا تقيًا مرضيًا ولهذا قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ أي من عندك بحولك وقوتك ﴿وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾ أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يعني كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء



فاجعله مثلهم فبالكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثة المال . قال النبي ﷺ : « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » رواه البخاري ومسلم ومالك والترمذي والنسائي وأحمد.

وروى الترمذي : « لا نورث ما تركناه صدقة » .

كما أن الدنيا أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهمهم أمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم .

كما أن زكريا عليه السلام كان نجارًا يعمل بيده ويأكل من كسبها ولا يفيض عنده مال ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً** ﴾ أي علامة على وقت حمل امرأته بهذا الولد المبشر به ﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا** ﴾ .

يقول علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزًا (بالإشارة) وأنت في ذلك سوى الخلق صحيح المزاج معتدل البنية ، وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والإبكار ، فلما بشر هذه البشارة خرج مسرورًا بها على قومه في محرابه ﴿ **فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ والوحي ههنا هو الأمر الخفي إما بكتابة ، أو بإشارة ، وكان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام أحد . وقوله تعالى : ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ .

يخبر تعالى من وجود الولد وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال

صباه .

قال عبد الله بن المبارك : قال معمر : قال الصبيان ليحيى ابن زكريا : اذهب بنا نلعب . فقال : ما للعب خلقنا . قال : وذلك قوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ كان رحيمًا بوالديه .

وأما الزكاة : فهي طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل . والتقوى : طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره .

ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمرًا ونهيًا وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ثم قال: ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى آخر فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ، ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها .

وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار ، وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور ، وانتظر النفخة في الصور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور ، وما بين جبير وكسير

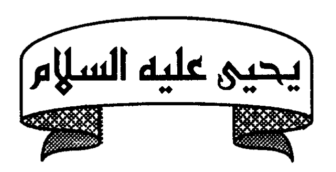
فريق في الجنة وفريق في السعير .

وروى سعيد بن أبي زرعة عن قتادة أن الحسن قال : إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى : استغفر لي أنت خير مني ، فقال له الآخر : استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى : أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك . فعرف والله فضلهما .

وروى أبو داود الطيالسي بسنده إلى أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام » .

وقال إسرائيل عن أبي حصين عن خيثمة ، قال : كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف ، وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا مأوى يأويان إليه ، أينما جنهما الليل أويا ، فلما أرادا أن يتفرقا قال يحيى : أوصني .قال : لا تغضب . قال : لا أستطيع إلا أن أغضب . قال: لا مالاً . قال : أما هذه فعسى .





يحيى عليه السلام

يحيى بن زكريا عليهما السلام نبي مرسل ، أرسله الله إلى بني إسرائيل في حياة أبيه آتاه الله الحكمة في صباه ، ووهبه حنانًا من لدنه ، وزاده بركة وتقى وطهارة ، وجعله سيدًا على أهل زمانه ، وحصر همته في طاعته ، وقصر هواه في عبادته ، ولم يجعل له رغبة في النساء .

وقد زوده الله تعالى بالحكمة والعلم فحفظ التوراة ، وعمل بكل ما فيها لذا أثنى الله تعالى عليه ووصفه بأوصاف الإيمان مثل قوله تعالى : ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وفي سورة مريم: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾** ﴾ [مريم : ١٢ - ١٥] .

والمراد بالكتاب هو التوراة : أي خذ التوراة بتدبر جيد وحفظ كامل ، واعمل بها جاهدًا ، وأمر قومك بذلك ، وقم بواجب

الشكر لربك الذي وهب لك أعظم النعم وجعلك نبيًا مرسلاً وابن نبي مرسل ، وسماك يحيى ليحيا ذكرك في نفوس المؤمنين ، ولم يسم أحدًا قبلك بهذا الاسم .

وكان يحيى عليه السلام لا يلعب كما يلعب الصبيان ، وقد أوتي النبوة في صباه وهو ابن ثلاث عشرة سنة كأمر خاص به كما ذكر المفسرون ، وصحب أباه في صغره وكبره ، وحنا عليه ، وأحسن إليه ، وكان بارًا به وبأمه ، وكان شديد التواضع ، ولم يكن يعصى لأبويه أمرًا ، وقد ترك الله عز وجل ذكراه في نفوس المؤمنين ، وألقى محبته في قلوبهم . وقد منحه الله تعالى سلامًا عند مولده ، وعند موته ، وعند بعثه حيًا من قبره ، والسلام رضا من الله تعالى ، وحفاوة وتكريم ، وإجلال وتعظيم .

وقد ولد عيسى عليه السلام في عصره فباركه ودعا له ، ولما شب عيسى عليه السلام رافق ابن خالته يحيى وشاركه في دعوته، وشد من أزره في تبليغ الرسالة إلى بني إسرائيل وهم قوم غلاظ الطباع، قساة القلوب، لا يستجيبون بسهولة إلى نصح الناصحين.

وقد وجد منهم يحيى عنتًا وصدودًا وإعراضًا حتى كاد يكف عن تعليمهم وإرشادهم لولا عزمة من عزمات ربه .

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه بسند حسن صحيح من حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإنه كاد أن يبطىء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات

لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب ، فجمع يحيى الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد ، وقعد على الشرف (المكان المرتفع) . قال : إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملهن وآمركم أن تعملوا بهن : أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق (الفضة)، فقال له : هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليَّ ، فكان يعمل ويؤدي إلى غيره ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك . وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في الصلاة ما لم يكن يلتفت ، وأمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة (الجماعة) ،ومعه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك .وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال : أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير ، ففدي نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى » .

قال النبي ﷺ: « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة . فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم (هم المحكوم



عليهم بالنار) ، فقال رجل : يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » .

* وفاته عليه السلام

وذكروا في وفاته عليه السلام أسبابًا منها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزوجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقى في نفسه منه شيء ، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى ، فوهبه لها (أعطاه) فبعثت من قتله وجاء برأسه ودمه في طست عندها فيقال إنها هلكت من فورها وساعتها .

وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها (رفض)، فلما يئست منه تحيلت (أتت بحيلة) هي أن استوهبته من الملك ، فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست . وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له : يا أبا يحيى خبرني من قتلك كيف كان ولم قتلك بنو إسرائيل ؟ قال: يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه ، وكان أجملهم وأصبحهم وجهًا ، وكان كما قال الله تعالى : ﴿**وسيداً وحصوراً**﴾ وكان لا يحتاج إلى النساء فهويته امرأة ملك بني إسرائيل ،كانت بغية ، فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فأجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام ، وكانت سُنة الملك أن يعد ولا يخلف ولا يكذب.

قال : فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيعته ، وكان بها معجبًا ولم تكن تفعله فيما مضى ، فلما أن شيعته قال الملك سليني ، فما سألتني شيئًا إلا أعطيتك . قالت: أريد دم يحيى بن زكريا ، قال لها : سليني غيره . قالت: هو ذاك . قال : هو لك . قال : فبعثت إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا بجانبه أصلي ، قال : فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها ، قال : فقال رسول الله ﷺ: فما بلغ صبرك؟قال: ما انفلت من صلاتي. قال : فلما حمل رأسه إليها ووضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه ، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل : قد غضب إله زكريا لزكريا، فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا، قال: فخرجوا في طلبي ليقتلوني وجاءني النذير ، فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم عليّ فلما تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت إليّ إليّ وانصدعت (انشقت)، لي ودخلت بها. قال وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجًا من الشجرة ، وجاء بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة ، هذا طرف ردائه دخلها بسحره ، فقالوا نحرق هذه الشجرة ، فقال إبليس شقوه بالمنشار شقًا ، قال: فشققت مع الشجرة بالمنشار . قال له النبي ﷺ : هل وجدت له مسًا أو وجعًا ؟ قال :لا ، إنما وجدت ذلك الشجرة جعل الله روحي فيها (ضعفه ابن كثير) .

وفي بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء : فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة . وروى الثوري عن الأعمش عن شملة عن عطية قال : قتل على الصخرة التي ببيت

المقدس سبعون نبيًا ، منهم يحيى بن زكريا. وعن سعيد بن المسيب قال : قدم بختنصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبره ، فقتل على دمه سبعون ألفًا فسكن ، وهذا إسناد صحيح كما قال ابن كثير . وروى ابن عساكر بسنده إلى زيد بن واقد قال : رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق تخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق ، فكان البشرة والشعرة على حالهما لم يتغيرا ، وفي رواية كأنما قتل الساعة . وروى ابن عساكر بسنده إلى قاسم مولى معاوية ، قال : كان ملك هذه المدينة يعني دمشق هداد بن هدار ، وكان قد زوّج ابنه بابنة أخيه إيل ملكة صيدا ، وقد كان في جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة ، قال : وكان قد حلف بطلاقها ثلاثًا ثم إنه أراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال : لا تحل لك حتى تنكح زوجًا غيرك ، فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا ، وذلك بإشارة أمها . فأبى عليها ثم أجابها إلى ذلك وبعث إليه وهو قائم يصلي في مسجد حبرون من أتاه برأسه في صينية ، فجعل الرأس يقول له : لا تحل حتى تنكح زوجًا غيره فأخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك ، فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قدميها ثم إلى حقويها (وسطها) ، وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطمن وجوههن ثم خسف بها إلى منكبيها فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها ، ففعل فلفظت الأرض جثتها عند ذلك ، ووقعوا في الذل والفناء ، ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بختنصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفًا .